أمريكا
رؤيـة
مـن
الداخل

استراتيجية الحـــروب الأمريكية !

obeikandl.com

obeikandl.com

لم تعد استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية للحروب القادمة سرا..

أفغانستان كانت أول الحروب. والحرب الثانية كانت فى العراق.

والقرن الحادى والعشرون سوف يشهد حروبا أمريكية فى أماكن كثيرة..

وضد أعداء كثيرين..

ولن يكون لأمريكا حلفاء دائمون لكل الحروب.. ولكن كل حرب سيكون لها حلفاء يختلفون حسب طبيعة وظروف الحرب وبما يناسب العدو فى كل حرب..

والحروب الأمريكية القادمة ستكون ضد عدو غير معلوم، وغير مرئى، وغير متوقع !

ولن تكون الحروب بالأسلحة الحديثة ذات التكنولوجيا المتقدمة فقط، ولكن ستكون بالأسلحة التقليدية المتطورة، وبوسائل فائقة القدرة. وأيضا بوسائل تقليدية، ولن تعتمد على القوة النووية الهجومية، ولكن ستعتمد على القدرات التقليدية المتقدمة مع الدفاعات الصاروخية المضادة للصواريخ، والصواريخ الباليستية والدفاعات فائقة القدرة فى الفضاء. وسوف تكون القوات الأمريكية جاهزة للضرب فى أى مكان فى العالم ترى أنه سيكون يوما مصدر إرهاب .

وسوف تتضاعف ميزانية التسلح والقوات المسلحة..

وسوف يتم تغيير أسلوب العمل والإدارة فى وزارة الدفاع (البنتاجون) من الإدارة بعقلية الموظفين والدواوين.. إلى الإدارة بعقلية تتمتع بالمبادرة والابتكار..

وسوف يتم تغيير أساليب التدريب، والقتال، وطرق التفكير فى القوات المسلحة الأمريكية..

وليس هناك سر..

من يريد أن يطلع على الاستراتيجية الأمريكية الجديدة التى أعدها وزير الدفاع دونالد رامسفيلد ورئيس الأركان واعتمدها الرئيس جورج بوش ومساعدوه، وبدأ تنفيذها الجنرال تومى فرانك قائد القوات المركزية الأمريكية فقد أعلنها وزير الدفاع دونالد رامسفيلد فى مقال نشره فى مجلة «فورن افيرز» وهى أكبر مجلة متخصصة فى الدراسات السياسية والاستراتيجية. والمقال اختار له رامسفيلد عنوان «تحويل الجيش» بما يوحى بأن المسألة ليست مجرد إعادة نظر، أو تطوير، أو تغيير، ولكنها أكبر من ذلك، هى أقرب إلى أن تكون الانتقال من حال إلى حال، أو من مسار إلى مسار، بما يعنى أن هناك «رؤية جديدة» «ومفهوما جديدا» «وفكرا جديدا» فى استراتيجية الحرب. ولذلك أعتقد أن هذا المقال يجب دراسته جيدا إذا أردنا أن نفهم ماذا ستفعل أمريكا فى الفترة القادمة. ولذلك سوف أعرضه هنا بالتفصيل.

يبدأ وزير الدفاع بمقدمة بعنوان «الانطلاق نحو المستقبل» يشير فيها إلى أنه حين سافر إلى أفغانستان فى العام الماضى وجد رجال القوات الخاصة الأمريكية التى اشتركت فى الهجوم على مزار الشريف قد أحسنوا التكيف بطبيعة المنطقة، فأطلقوا اللحى وارتدوا الأوشحة الأفغانية، واستخدموا الخيول المدربة على الفرار من نيران الرشاشات، وتعلموا نقل معداتهم بالبغال فى الجبال والمناطق الوعرة، واكتسبوا القدرة على التحرك فى الليل فى الظلام التام بالقرب من حقول الألغام، وفى الممرات الجبلية الضيقة بما فيها من مناطق شديدة الانحدار.. وقد اكتسبوا كل ذلك من عملهم مع المقاتلين الأفغان وتدريبهم معهم فتعلموا منهم ضرورات الحرب على الأرض الأفغانية، بما فى ذلك مطاردة العدو فى ميدان معركة مغطاة بسحب التراب والشظايا لمواجهة القناصة.. وكان ذلك أول هجوم أمريكى بالخيول فى القرن الحادى والعشرين.

ويستخلص رامسفيلد من ذلك أهمية التكامل بين براعة القوات الخاصة الأمريكية، والأسلحة فائقة القدرة والموجهة بأقصى درجات الدقة من الترسانة الأمريكية، مع أطقم القوات الجوية والقوات البحرية، وشجاعة المقاتلين الأفغان الذين قاتلوا على ظهور الخيل وبأسلحة تقليدية..

يقول رامسفيلد: فى هذه المعركة التقى القرن التاسع عشر بالقرن الحادى والعشرين فتحققت الهزيمة لعدو خطير متوقد العزيمة.

▣ ▣ ▣

وتحت عنوان «التعلم سريعا» يقول رامسفيلد:

«عندما استدعانى الرئيس جورج دبليو بوش للعودة إلى البنتاجون مرة أخرى بعد ربع قرن من ابتعادى عنه، وطلب منى وضع استراتيجية جديدة للدفاع، كان يعلم أننى خبير بهذه الأمور، وأشك فى أنه تخيل - ولو لثانية واحدة - أننا سنعيد عصر الفرسان فى الحرب، ولكن هذا بالضبط المقصود من «التحويل». فنحن فى عام ٢٠٠٢ نحارب أول حروب القرن الحادى والعشرين وقد عادت الفروسية والخيول مرة أخرى لاستخدامها بطرق لم يكن ممكنا تخيلها من قبل، وهذا يوضح أن «الثورة فى المجال العسكرى» لا تقتصر على مجرد بناء الأسلحة الجديدة بالتكنولوجيا المتفوقة.. ولكنها بالإضافة إلى ذلك تمتد إلى خلق طرق جديدة للتفكير.. وطرق جديدة للقتال.

ففى الحرب العالمية الثانية أحدث الهجوم الألمانى المفاجئ ثورة فى مجال الحرب، ولكن التغير فى الجيش الألمانى كان يتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ فقط، واكتشف الألمان أن الحرب الحديثة لا تقوم على الجيوش الهائلة وحفر الخنادق ولكنها تعتمد أيضا على القوات الهجومية الصغيرة المتحركة عالية الكفاءة والتى تساندها القوات الجوية، وتكون قادرة على توجيه ضربات سريعة مفاجئة للعدو، كما طور الألمان التكامل بين الدبابات السريعة الحركة وفرق المشاة المزودة بالعربات، والمدفعية، والقاذفات الهجومية، وتركيز العمل على جزء واحد من جبهة العدو، ولذلك كان الأثر مدمرا. وكانت الثورة التى أحدثها الألمان هى الطرق غير المسبوقة التى اتبعوها للمزج بين التكنولوجيا الجديدة والتكنولوجيا التقليدية، وكذلك كانت معركة مزار الشريف نقطة تحول، فقد استفادت قوات التحالف من الأسلحة الحديثة المتقدمة مثل الأسلحة الموجهة بالليزر مع الأسلحة المعروفة مثل طائرات بى - ٥٢ المعروفة منذ

أربعين عاما بعد تطويرها بإلكترونيات حديثة، إلى الأسلحة البدائية مثل الحصان والبندقية، والمقاتل الأفغانى الذى يعتمد أساسا على شجاعته وبراعته الفردية.

يقول رامسفيلد: إن هذا لا يعنى أن يكون هذا التكامل نفسه بين التكنيكات والكفاءات نموذجا لمعارك المستقبل، ولا يعنى أن الجيش الأمريكى عليه أن يتعلم الدرس من التجربة الأفغانية فيبدأ فى تخزين الاحتياطى من سروج الخيول، ولكن الدرس المستفاد هو أن الاستعداد للمستقبل يتطلب طرقا جديدة من التفكير، وتطوير القوات والكفاءات التى تستطيع التكيف بسرعة مع التحديات الجديدة والمواقف غير المتوقعة ، وهذه القدرة على التكيف هى العامل الحاسم فى عالم ملئ بالمفاجآت والأمور المجهولة.

▣ ▣ ▣

ويقول رامسفيلد:

أثناء الحرب الباردة واجهنا تهديدات متوقعة إلى حد ما، فقد كنا نعلم الكثير عن عدونا وقدراته، وحددنا الاستراتيجيات والقدرات المناسبة للردع، ونجحنا فى ذلك.. أنشأنا ترسانة نووية.. ودخلنا عصر النفاثات بطائرات مقاتلة أسرع من الصوت.. وبنينا غواصات وسفنا تسير بالطاقة النووية.. وقمنا بتطوير أول قاذفات قنابل وصواريخ عابرة للقارات.. وتفوقنا على ضخامة أعداد القوات الثقيلة فى أوربا التى كانت مستعدة لرد أى غزو سوفييتى على أراضى ألمانيا الشرقية.. ونفذنا استراتيجية منع انتشار القوة المعادية ومساندة الدول الصديقة التى يهددها الغزو السوفييتى. وعلى مدى نصف قرن تقريبا سمح لنا هذا المزيج من الاستراتيجية، والقوات، والكفاءة، بالمحافظة على السلام، ولكن الحرب الباردة انتهت الآن، والاتحاد السوفييتى مضى زمنه وأخذ معه الأمن الذى اعتادت عليه أمريكا، وتعلمنا فى ١١ سبتمبر على نحو مؤلم أن تحديات القرن الجديد غير متوقعة كما كانت تحديات الماضى، فمن كان يتخيل أن الإرهابيين سيأخذون طائرات ركاب ويحولونها إلى صواريخ لضرب البنتاجون ومركز

التجارة العالمى ويتسببون فى قتل الآلاف؟ وفى السنوات القادمة من المحتمل أن نفاجأ مرة أخرى بأعداء جدد يهاجموننا بطرق غير متوقعة أيضا، وإذا تمكنوا من الوصول إلى أسلحة أكثر تفوقا من الممكن أن تصبح الهجمات أكثر تدميرا مما عانينا فى ١١ سبتمبر.

ويصل رامسفيلد إلى القول بأن التحدى الذى يواجه أمريكا فى القرن الجديد صعب، لأنه الدفاع عن أمريكا من عدو مجهول، وغامض، وغير مرئى، وغير متوقع، وقد تبدو هذه مهمة مستحيلة، ولكنها ليست كذلك، فقط يتحتم لتحقيقها التخلى عن الطرق السهلة فى التفكير والتخطيط، واللجوء إلى المخاطرة وتجربة وسائل جديدة لكى نتمكن من ردع وهزيمة »الأعداء« الذين لم يظهروا حتى الآن!

▣ ▣ ▣

وتحت عنوان «التخلى عن القديم» يقول رامسفيلد:

قبل ١١ سبتمبر كان القادة الكبار – المدنيون والعسكريون – فى وزارة الدفاع يعملون ما اعتادوا عمله، ولكن بعد مراجعة خطط الدفاع لسنة ٢٠٠١ توصلنا بعد البحث الطويل إلى أننا نحتاج إلى استراتيجية جديدة. كانت الاستراتيجية قبل ذلك هى الاستعداد لحربين كبيرتين على مسرحين للقتال، وكانت تستلزم الإبقاء على قوتين كبيرتين قادرتين على التحرك واحتلال مدن عدوين فى وقت واحد وتغيير أنظمة الحكم فيهما، وقد خدمنا هذا الاتجاه خدمة كبيرة أثناء سنوات ما بعد الحرب الباردة، ولكن الاستمرار فى هذا الاتجاه يجعلنا مستعدين بأكثر من اللازم لصراعين محددين، ومستعدين أقل من اللازم للمفاجآت والطوارئ غير المتوقعة فى تحديات القرن الحادى والعشرين.

لذلك توصلنا إلى افتراضات أكثر واقعية وأكثر توازنا عن احتياجاتنا للحرب المحتملة، وبدلا من الإبقاء على قوتين قررنا توجيه أكبر قوة للردع فى أربعة مسارح خطيرة، ويساند ذلك القدرة على هزيمة قوتين بسرعة فى نفس الوقت يحتمل اعتداؤهما

علينا معا، مع الاحتفاظ بخيار شن حرب مضادة كبيرة لاحتلال عاصمة المعتدى وتغيير نظام الحكم.. وما دام أحد من هؤلاء «المعتدين» لا يعلم من منهم سوف يختاره الرئيس (بوش) لعملية تعديل النظام، فإن قوة الردع لن تضعف دون حاجة إلى الإبقاء على قوة ثانية للاحتلال، ونستطيع التعامل بوسائل جديدة للمستقبل وللطوارئ الأخرى التى ستكون أقل مما يواجهنا الآن.

وقررنا كذلك التخلى عن الاستراتيجية القديمة التى تعتمد على «التهديد» والتى كانت تسيطر على التخطيط الدفاعى الأمريكى على مدى نصف قرن تقريبا، وتبنى اتجاه جديد مبنى على «الكفاءة» وهو اتجاه يركز بنسبة أقل على «من» و «أين» هم الذين يهددون أمريكا، ويركز أكثر على الطرق التى قد يتم تهديدنا بها، وما نحتاج إليه للردع والدفاع ضد هذه التهديدات.

يقول رامسفيلد ليشرح استراتيجية أمريكا الجديدة:

إن هذا الاتجاه الجديد يشبه طريقة التعامل مع اللصوص. أنت لا تستطيع أن تعرف مقدما من الذى يريد السطو على منزلك أو متى؟ ولكنك تستطيع أن تعرف «كيف» سيحاولون ذلك؟ قد يحاولون كسر «القفل»، إذن فأنت بحاجة إلى «ترباس» جيد ومتين على بابك الأمامى، وتعلم أنهم قد يحاولون الدخول من الشباك، لذلك فأنت تحتاج إلى جهاز إنذار جيد، وتعلم أنه من الأفضل التصدى لهم قبل دخولهم، إذن فأنت تحتاج لقوة بوليس لحراسة المنطقة وإبعاد المشتبه فيهم من الشوارع المحيطة، وأنت تعلم أيضا أن وجود كلب ألمانى كبير لا يضر. وهذا هو المنطق الصحيح للدفاع عن أمريكا، فبدلا من بناء قواتنا المسلحة لتنفيذ خطط محاربة هذه الدولة أو تلك، فإننا نحتاج إلى فحص النقاط القابلة للهجوم، ونسأل أنفسنا كما فعل فردريك العظيم فى «المبادئ العامة للحرب» : «ما هى الخطة التى كنت سأتبعها لو كنت أنا العدو؟ ثم نقوم بتشكيل قواتنا وفقا لضرورات الردع وهزيمة العدو الذى يهددنا، وعلى سبيل المثال، نحن نعلم أن الولايات المتحدة تمتلك قوة لا نظير لها فى البر، والبحر، والجو،

ولذلك لن يكون معقولا أن يحاول «الأعداء» الدخول معنا فى قتال مباشرة، وقد تعلموا من حرب الخليج أن تحدى قواتنا عمل متهور. لذلك فإن أمريكا بدلا من بناء جيوش مقاتلة، وأساطيل، وقوات جوية، عليها أن تستعد لما سيقوم به «الأعداء» وهم غالبا سيبحثون عن الجوانب التى يمكن لهم الهجوم منها ويحاولون استغلالها.

ويقول رامسفيلد لتوضيح هذه الفكرة: إن «الأعداء» المحتملين يعلمون – على سبيل المثال – إن الولايات المتحدة كمجتمع مفتوح معرضة للسقوط فى يد أشكال جديدة من «الإرهاب». وهم يظنون أن المعدات الأمريكية فى الفضاء وشبكة المعلومات يمكن أن تكون أهدافا للهجوم، وهم يعلمون أن قدرة أمريكا على توجيه القوة نحو مناطق بعيدة عنها وتعتمد فى ذلك على قواعد أجنبية معرضة للسقوط، وهم يعلمون أيضا أن أمريكا ليس لديها دفاع ضد هجمات الصواريخ البالستية، وهذا حافز لهم لتطوير أسلحة الدمار الشامل.. ومهمتنا هى سد ما يمكن من هذه الثغرات.. وعلينا الاستعداد لأشكال جديدة من الإرهاب، وتوقع هجمات على المعدات الأمريكية فى الفضاء، واختراق شبكة المعلومات الأمريكية، والصواريخ الموجهة، والصواريخ البالستية، والأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، وفى الوقت نفسه يتحتم على أمريكا العمل على بناء القوة التى تتفوق فيها مثل القدرة على توجيه القوة العسكرية إلى مسافات بعيدة، والأسلحة الدقيقة المحكمة، والكفاءة فى الفضاء والمخابرات والحرب البحرية وحرب الغواصات.

▣ ▣ ▣

وتحت عنوان «استراتيجية من ٦ خطوات» يقول رامسفيلد:

قبل الهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن كنا قد قررنا بالفعل أن تعمل وزارة الدفاع على التركيز على ستة أهداف رئيسية:

أولا: حماية قواعدنا داخل أمريكا وحماية القواعد المنتشرة عبر البحار.

ثانيا: توجيه القوة الأساسية وتعزيز القوات فى المناطق البعيدة.

ثالثا: مطاردة أعدائنا وعدم السماح لهم بالاطمئنان فى ملاذ آمن، بحيث يتأكد لهم يقينا أنه ليست هناك نقطة فى العالم بعيدة عن متناول أيدينا، وليس هناك جبل مهما بلغ ارتفاعه، أو كهف أو خندق مهما بلغ عمقهما، ولا وسيلة هرب مهما تكن سرعتها، يمكن أن تمنعنا من الوصول إليهم.

رابعا: حماية شبكة المعلومات الأمريكية من أى هجوم محتمل.

خامسا: ربط الأسلحة والقوات الأمريكية المختلفة باستخدام تكنولوجيا المعلومات بحيث يمكنها القتال معا بتوافق كامل.

سادسا: المحافظة على قدرتنا على الوصول الحر إلى الفضاء وحماية قدراتنا الموجودة فى الفضاء من هجوم الأعداء.

ثم جاءت تجربة ١١ سبتمبر، والحملة الأفغانية التالية لها فعززت حاجتنا إلى نقل الدفاعات الأمريكية إلى هذه الاتجاهات، وهذا هو السبب فى تخصيص ميزانية الدفاع لعام ٢٠٠٣ للتعجيل بإنجاز هذه الأهداف الستة، من خلال زيادة كبيرة فى التمويل، وذلك لأننا أصبحنا نحتاج الآن إلى المزيد من التمويل لبرامج تحويل القوات وإكسابها قدرات جديدة، وعلى مدار السنوات الخمس القادمة ستزيد بنسبة ٤٧٪ ميزانيات الدفاع الخاصة بالقواعد الأمريكية فى الداخل وعبر البحار، وميزانية برامج مطاردة الأعداء ستزيد بنسبة ١٥٧٪، كما ستزيد بنسبة ٢١٪ ميزانية برامج توجيه القوات لمسافات بعيدة فى المناطق المعادية، وبرامج استخدام تكنولوجيا المعلومات ستزيد بنسبة ١٢٥٪، وبرامج مهاجمة شبكات المعلومات الخاصة بالأعداء والدفاع عن شبكات المعلومات الأمريكية ستزيد بنسبة ٢٨٪، وبرامج تقوية الكفاءة والسيطرة الأمريكية فى الفضاء ستزيد بنسبة ١٤٥٪. وفى نفس الوقت قررنا إنهاء النظم التى لا تتفق مع استراتيجية الدفاع الجديدة مثل المدمرة (دى. دى – ٢١) وبرامج الدفاع الصاروخى فى مناطق عمل الأسطول، وصاروخ حفظ السلام، وقررنا كذلك الاستغناء عن القدرات والمعدات العسكرية التى تتطلب مبالغ باهظة لصيانتها مثل

طائرات (إف – ١٤) وقررنا الاستغناء عن ألف طائرة هليوكويتر يرجع تاريخها إلى حرب فيتنام.

ولم تكن هذه الأهداف قابلة للتنفيذ فى سنة واحدة لكى يتم تحويل الجيش الأمريكى كله، فهذا لا يتم فى سنة ولا فى عشر سنوات، لأن التحويل فى الجيوش لا يتم دفعة واحدة، ولكنه عملية مستمرة، وليست هناك نقطة معينة نستطيع أن نعلن عندها أن القوات الأمريكية تم تحويلها وانتهى التنفيذ.

ويحدد وزير الدفاع دونالد رامسفيلد التحديات التى تواجه أمريكا فى القرن الحادى والعشرين وهى تحديات للقوات الأمريكية بالدرجة الأولى كما يلى:

• حماية المدن الأمريكية. وحماية أصدقائنا وحلفائنا، وحماية القوات الأمريكية المنتشرة فى العالم.

• حماية «المتلكات الأمريكية» فى الفضاء.

• حماية الحاسبات الآلية وشبكات المعلومات من الأشكال الجديدة من الهجوم.

• توجيه القوات لمسافات بعيدة لقتال الأعداء الجدد. وهذا يتطلب تشكيل قوات مشتركة متحدة بالكامل، وسريعة الانتشار، وقادرة على الوصول إلى مسارح العمليات البعيدة والعمل مع قواتنا الجوية والبحرية لضرب الأعداء بسرعة وبقوة تدمير كاملة.. وهذا يتطلب كذلك استخبارات متقدمة، وكفاءات هجومية محكمة وبعيدة المدى، وبرامج وخططا للقوات البحرية للمساعدة فى مهاجمة قدرات الأعداء التى يمكن أن تعوق وصولنا إليهم.

يقول رامسفيلد: ليس هدفنا الدخول فى حرب والفوز فيها، ولكن هدفنا منع حدوث الحرب، ولكى نحقق ذلك يتحتم علينا إيجاد طرق للتأثير على صناعة القرار عند الأعداء المحتملين، وردعهم، ومنعهم من استخدام الأسلحة الموجودة لديهم، ومنعهم أيضا من بناء أسلحة جديدة خطيرة. وعلى سبيل المثال فإن وجود الأسطول الأمريكى يقنع الآخرين بالعدول عن الاستثمار فى بناء أساطيل منافسة لأنها ستكلفهم أموالا طائلة

ولن تعطيهم أى درجة من التفوق العسكرى، وهكذا يتحتم على أمريكا تطوير قدرات عسكرية جديدة يؤدى مجرد امتلاكها إلى عدول الأعداء عن القتال، وعلى سبيل المثال فإن توظيف الدفاعات الصاروخية الفعالة قد يؤدى بالآخرين إلى العدول عن الانفاق للحصول على الصواريخ الباليستية، لأن هذه الصواريخ لن تحقق لهم هدفهم فى امتلاك قوة تهدد الولايات المتحدة وحلفاءها بالابتزاز النووى، وكذلك فإن تقوية نظم الفضاء الأمريكية وبناء وسائل الدفاع عنها سوف يؤدى إلى إقناع الأعداء بالعدول عن تطوير »أقمار صناعية قاتلة« جديدة لمهاجمة شبكات الأقمار الصناعية الأمريكية. وكذلك فإن الأسلحة المخترقة للأرض والقادرة على التغلغل فى أعماقها، والأسلحة الحلزونية الحرارية التى استخدمت مؤخرا ضد قوات طالبان والقاعدة وهى فى مخابئ فى الجبال، مثل هذه الأسلحة يمكن أن تدمر المواقع السرية العميقة التى يختبئ فيها الإرهابيون، وتخفى فيها الدول الإرهابية ما تملكه من أسلحة الدمار الشامل فتصبح هذه المواقع خرابا.

وبالإضافة إلى القدرات العسكرية الجديدة فإن تحويل القوات المسلحة الأمريكية يتطلب إعادة النظر فى المعدات العسكرية الموجودة لدينا، فقد أظهرت التجربة فى أفغانستان مثلا أن الطائرات المقاتلة بدون طيار ذات تأثير فعال بدرجة كبيرة، ولكن ظهر أننا نمتلك عددا قليلا منها، وكانت وزارة الدفاع تعلم من قبل أنها لا تمتلك عددا كافيا من الطائرات الخاصة بالاستكشاف والمراقبة أو القيادة والسيطرة، وليس لديها ما يكفى من أسلحة الدفاع الجوى أو وحدات الدفاع البيولوجى والكيميائى، ولا من نوعيات معينة من قوات العمليات الخاصة، ولكن بالرغم من هذا القصور قامت الوزارة بتأجيل علاجها، وتدبير الاستثمارات اللازمة لمواجهة هذا النقص، واستمرت فى تمويل برامج أقل أهمية، وهذا هو ما يحتاج إلى التغيير.

وفى إطار تغيير الأولويات يتحتم علينا البدء فى تغيير التوازن فى ترسانة الأسلحة الأمريكية، التوازن بين المعدات العسكرية التى تعمل بالرجال والمعدات التى تعمل بدونهم، والتوازن بين الأسلحة طويلة المدى والأسلحة قصيرة المدى، والتوازن بين

النظم السرية والنظم غير السرية، والتوازن بين الأسلحة التقليدية والأسلحة التى تعمل بأجهزة الاستشعار عن بعد، والتوازن بين النظم المحصنة والنظم المعرضة لهجوم، وكل ذلك يجب أن يدفعنا إلى الانطلاق فى عصر المعلومات، فإن المعلومات هى العنصر الحاسم فى نجاح جهودنا فى التغيير.

▣ ▣ ▣

ويقول وزير الدفاع رامسفيلد:

بعد ١١ سبتمبر وجدنا أن مسئولياتنا الجديدة فى الدفاع الوطنى تفوق هذا القصور والنقص، وليس أمام أى رئيس أمريكى فرصة الاختيار بين حماية الوطن والمواطنين فى الداخل، وحماية المصالح الأمريكية والقوات المنتشرة عبر البحار فى الخارج، ولابد أن نكون قادرين على تحقيق الأمرين معا، وفى نفس الوقت فإن فكرة أننا نستطيع تنفيذ برنامج التحويل مع تخفيض الميزانية فى نفس الوقت تبدو فكرة مغرية ولكنها خاطئة.

وتحويل الجيش إذا كان يتطلب بناء قدرات عسكرية جديدة وزيادة القدرات الموجودة، فإنه يستلزم خفض المخزون من الأسلحة غير الضرورية، وكما أن الدولة لم تعد فى حاجة إلى قوات ثقيلة ضخمة لرد غزو سوفيتى، فإنها لم تعد محتاجة إلى كل هذه الآلاف من الرءوس النووية الهجومية التى تكدست فى فترة الحرب الباردة لردع أى هجوم نووى سوفيتى، ففى هذه المرحلة كان الأمن القومى الأمريكى يعتمد على امتلاك قوة نووية كبيرة ومنتشرة وجاهزة للرد على أية ضربة سوفيتية، أما الآن، فأعداؤنا تغيروا، ولذلك فإن الردع تغير، والإرهابيون الذين هاجمونا فى ١١ سبتمبر لم تردعهم الترسانة النووية الأمريكية الهائلة، ولذلك نحن نحتاج إلى طرق جديدة لردع الأعداء الجدد، وذلك هو سبب تبنى الرئيس بوش لاتجاه جديد للردع يقوم على تخفيض كبير للقوات النووية الهجومية والمعدات العسكرية التقليدية المتقدمة والدفاعات الصاروخية التى يمكنها حماية الولايات المتحدة وأصدقائها وقواتها وحلفائها من هجوم صاروخى

محدود.. وبالإضافة إلى ذلك يتحتم علينا تطوير نظم دفاعية وهجومية وتقليدية مناسبة لردع الأعداء الذين نواجههم، ويجب أيضا ضمان الأمن والكفاءة للأسلحة النووية الأمريكية..

وإذا تم تنفيذ ذلك نكون قد حققنا «الثالوث الجديد» بالقوات النووية الهجومية المخفضة، والقدرات العسكرية التقليدية المتقدمة، ومجموعة الدفاعات الجديدة التى تشمل الصواريخ الباليستية والدفاع الصاروخى الموجه والدفاعات فى الفضاء والدفاع الاختراقى، وتساند ذلك بنية تحتية دفاعية نشيطة، ومن ذلك يتكون الاتجاه الجديد لاستراتيجية الردع. ولكن تحقيق ذلك يتطلب إعادة النظر فى موازنة المخاطر، ففى الماضى كان الاتجاه القائم على التهديد يركز الانتباه على المخاطر القريبة، ويستبعد التحديث والتغيير، أما فى القرن الحادى والعشرين فإن بناء جيش يجب أن يتم بالموازنة بين كل هذه العوامل لكى نكون مستعدين للمخاطر القريبة دون أن نغفل عن المستقبل. وهذا يستلزم التغيير ليس فقط فى القوات المسلحة الأمريكية ولكن أيضا فى وزارة الدفاع التى تخدمها، وذلك بتشجيع الإبداع، والمبادرات الجريئة الذكية.. وتشجيع العمل بروح تقدمية وليست رجعية، ويشجع على المغامرة بدلا من العمل بأسلوب الموظفين والدواوين.. فهذا سيؤدى إلى عدم انتظار التهديدات لكى يبدأ العمل، ولكن سيؤدى إلى القدرة على التنبؤ بالمخاطر والتهديدات قبل ظهورها، وابتكار وسائل جديدة لإقناع الأعداء بالعدول عن عدوانهم وردعهم.

وبعد ذلك يقول رامسفيلد:

يتحتم علينا ألا نكتفى بتغيير القدرات العسكرية الخاضعة لتصرفنا، ولكن علينا تغيير تفكيرنا بشأن الحرب، فإذا وصل الخيال بك إلى أنك يمكن أن تعود بالزمن إلى الوراء، وتعطى لفارس فى قصر الملك آرثر سلاحا مثل (ام – ١٦) فإنه سوف ينطلق بحصانه ليضرب عدوه على رأسه بهذا السلاح، وفى هذه الحالة لا يكون ذلك تحويلا أو تغييرا، والتحويل يحدث عندما يختبئ هذا الفارس خلف شجرة ويبدأ فى

إطلاق النار من هذا السلاح الذى يمكن استخدامه من بعد.. ومعنى ذلك أن كل الأسلحة التكنولوجية الحديثة فى العالم لا تكفى وحدها لتغيير أو تحويل القوات المسلحة الأمريكية إذا لم نبدأ فى تغيير الطريقة التى نفكر بها، ووسائل التدريب وخطط القتال..

▣ ▣ ▣

ثم يختتم وزير الدفاع الأمريكى شرح استراتيجية الحروب الأمريكية الجديدة بعنوان «التغيير ينطلق بسرعة» فيقول: إن البعض يعتقد أن تورط الولايات المتحدة الآن فى حرب صعبة وخطيرة ضد الإرهاب فإن الوقت ليس مناسبا للقيام بعملية التغيير فى القوات المسلحة الأمريكية.. أما أنا فإننى أعتقد أن العكس هو الصحيح، والآن هو الوقت المناسب تماما للتغيير، وأحداث ١١ سبتمبر تحتم علينا التحرك بقوة. ووزارة الدفاع تواجه كل يوم متطلبات ضرورية وعاجلة قد تشغلنا عن الإعداد للمستقبل، ولكن ١١ سبتمبر علمنا أن المستقبل يحمل الكثير من المخاطر المجهولة، والفشل فى الاستعداد لها يعنى تعريض أنفسنا للخطر، والتحدى الذى يواجهنا هو التأكد من أن مرور الوقت وزوال الصدمة الضاغطة علينا الآن لن يجعلنا نعود إلى العمل بالطريقة التى كنا نعمل بها قبل ١١ سبتمبر. والبنتاجون قادر على إنجاز المهمة.. وفى عام واحد فقط، عام ٢٠٠١، وضعنا استراتيجية دفاع جديدة، واستبدلنا باستراتيجية «حربين كبيرتين فى موقعين فى وقت واحد» استراتيجية جديدة لموازنة المخاطر وأعدنا تنظيم وتنشيط برنامج الأبحاث والتجارب للدفاع الصاروخى المتحرر من قيود معاهدة حظر انتشار الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية، وأعدنا تنظيم وزارة الدفاع لتركز أكثر على القدرات الأمريكية فى الفضاء، وبدأنا اتجاها جديدا للردع الاستراتيجى بإعادة النظر فى الترسانة النووية لزيادة تحقيق الأمن وتقليل الاعتماد على الأسلحة النووية الاستراتيجية، وسنعلن قريبا عن قيادة موحدة جديدة.. كل هذا يتم إنجازه أثناء الحرب على الإرهاب، وهذه ليست بداية هينة بالنسبة لوزارة تقاوم التغيير.

ويقول رامسفيلد:

يجب ألا نخطئ بالاعتقاد بأن تجربة أفغانستان هي نموذج الحملة العسكرية التالية، فإن تكرار الحرب خطأ تكرر من كثيرين في التاريخ العسكري، وهذا الخطأ يجب أن نتجنب الوقوع فيه، ولكن يمكن استخلاص دروس مهمة من التجارب الأخيرة يمكن أن نستفيد بها ونضعها في الاعتبار في المستقبل وهي:

أولا: إن الحروب في القرن الحادي والعشرين سوف تتطلب كل عناصر القوة في الدولة: القوة الاقتصادية، والدبلوماسية، وقوة القانون، وقوة المخابرات، وتحتاج إلى كل أنواع العمليات العسكرية العلنية والسرية، ولقد قال كلاوزيفيتش: إن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى، وفي هذا القرن فإن الحروب سوف تعتمد أكثر على وسائل غير عسكرية.

ثانيا: إن مقدرة القوات على الاتصال والعمل معا في ميدان المعركة سيكون العنصر الحاسم لتحقيق الانتصار، وفي أفغانستان رأينا فرقا مشتركة من القوات الخاصة الأمريكية تعمل على الأرض مع القوة الجوية والطيارين في السماء يحددون لها الأهداف وتنسيق توقيت الضربات الجوية وبالتعاون في نفس الوقت مع القوات البحرية، والدرس المستفاد أن نجاح العمليات يتوقف على مدى التعاون بين الأسلحة وقدرة الفروع المختلفة للقوات المسلحة على الاتصال وتنسيق الجهد في ميدان المعركة، وهذا التعاون في الحرب يجب بناؤه قبل الحرب في وقت السلم، وهذا يقتضي أن نتدرب وكأننا نحارب بالفعل، ونحارب وكأننا نتدرب!.

ثالثا: إن سياستنا في الحرب قائمة على قبول المساعدة من أية دولة على أساس مريح لحكومتها، بحيث تحدد كل دولة نوعية وكيفية مساعدتها لنا، وأدى ذلك إلى الاستفادة من تعاون الدول الأخرى وزيادة فعالية حربنا ضد العدو.

رابعا: إن الحروب يمكن أن تستفيد من الائتلاف والتحالف، ولكن القتال لا يتم وفقا لتصور كل طرف من الحلفاء، فالقتال لا يدار بلجنة، ولكن «المهمة» هى التى تحدد الائتلاف، و«الائتلاف» لا يحدد المهمة، وإلا ستكون المهمة مهمة فاشلة.

خامسا: إن حماية الولايات المتحدة تتطلب «الوقاية» وفى بعض الأحيان تتطلب البدء بالهجوم، وليس من الممكن الدفاع ضد كل تهديد، فى كل مكان، وفى كل وقت، ولهذا فإن الدفاع ضد الإرهاب وحماية أنفسنا من التهديدات المحتملة يتطلبان أن نذهب بالحرب إلى العدو.. فإن الهجوم هو وسيلة الدفاع الأفضل، وأحيانا يكون وسيلة الدفاع الوحيدة.

سادسا: يجب علينا عدم استبعاد أى شىء فى الحرب بما فى ذلك القوات البرية، لأنه من الضرورى أن يفهم العدو أننا نستخدم كل ما لدينا من وسائل، وأننا مستعدون لكل التضحيات اللازمة للنصر.

سابعا: إن نقل القوات الخاصة الأمريكية إلى أرض المعركة مبكرا يزيد فعالية أية حملة جوية، وقد أظهرت أفغانستان أن القنابل الموجهة بدقة من الجو أكثر فعالية من الاعتماد على الجنود والرؤية بالعين على الأرض لتحديد الأهداف بدقة.

ويختم رامسفيلد شرحه لاستراتيجية الحروب الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين بقوله:

أخيرا كن واضحا مع الشعب الأمريكى.. أخبرهم بالحقيقة.. وعندما لا تستطيع إخبارهم بحقيقة أمر مًّا فأخبرهم بأنك لا تستطيع إخبارهم..

فالشعب الأمريكى يتفهم ما نحاول تحقيقه وما هو المطلوب لإنجاز المهمة.. ويتفهم أن الأمر لن يكون سهلا.. وأنه ستكون هناك إصابات.. ولابد أن يعلموا أننا سنخبرهم بكل شىء بصراحة سواء كانت أخبارا مفرحة أم محزنة.. فالمساندة الشعبية الواسعة تعتمد على الثقة والتفاهم والاتفاق على هدف واحد.. وأفضل طريقة لإظهار

تقديرنا لجنودنا فى حربهم ضد الإرهاب هو توفير الإمكانات والوسائل والقدرات العسكرية الكافية، وتزويدهم بالثقافة المتجددة ليس فقط للفوز فى الحرب الحالية، ولكن لردع وهزيمة الذين سنواجههم بالتأكيد فى هذا القرن الخطير!.

▣ ▣ ▣

ولا أريد الآن أن أعلق أو أشرح.. فقط أرجو أن يقرأ كل عربى كل كلمة أكثر من مرة لكى يفهم ما وراءها.. وبعد أن يفهم يمكن أن نعلق!.

obeikandl.com